من درس في الأزهر الذي كان حاضنة لصراع الأفكار حينئذٍ، ومن هؤلاء الحاج أمين الحسيني والشيخ عز الدين القسام بأصوله السورية والذي انتمى لفلسطين وأقام في حيفا وأنشأ حركته السرية. وهناك أيضا من الفلسطينيين سليمان التاجي الفاروقي القانوني والشاعر والصحافي نجيب العازوري الذي أسس حزبا قوميا عربيا ووضع كتاب (يقظة الأمة العربية) في بدايات القرن العشرين، وسعيد الكرمي وعبد الله غوشة وخليل الخالدي... والعشرات من الأسماء البارزة، الذين شكلوا النخبة السياسية القيادية ومعظمهم حصل على تعليم جامعي.

لاحظ هؤلاء تزايد عدد اليهود في فلسطين من ٢٪ بعدد ٥ آلاف إلى ٥٪ بعدد ٢٥ ألفاً عام ١٨٨٢م.

وعلى أثر اغتيال القيصر الروسي عام ١٨٨١م بمشاركة يهودية ثورية انطلقت موجة من اللاسامية ضد يهود روسيا وبولندا دفعت أعداداً كبيرة للفرار لأوروبا وأمريكا وفلسطين.

وتحت عين وبصر الحكم العثماني تسرّب اليهود وأقاموا تعاونيات زراعية صغيرة في فلسطين. ولأن الشيء يستولد نقيضه، فمع تدفق الهجرات اليهودية راحت بتدرج تتضح الأهداف السياسية بما أثار ريبة الفلسطينيين ومقاومتهم التي تجلت بداياتها في صدامات الفلاحين والبدو الذين استشعروا منافساً على مراعيهم.

يستخلص الدكتور المسيري أن اليهود تاريخيا لم يكونوا مزارعين بيد أن مخططاتهم السياسية أوجبت مثل هذا التوجه الذي أخفق على امتداد عقدين إلى أن تولت إدارته شركات اليهودي الفرنسي روتشليد.

رفع أعيان فلسطين منذ ١٨٩٠م وقبلئذ مذكرات تدعو لوقف الهجرة اليهودية وتدين نقل ملكية الأرض لأيدي اليهود. وتعكس رسالة المثقف الفلسطيني رئيس بلدية القدس وعضو البرلمان العثماني ضياء الخالدي في أواخر القرن التاسع عشر لهرتزل زعيم الحركة الصهيونية نموذجا، حيث جاء فيها (أن فلسطين آهلة بسكانها المسلمين والمسيحيين، وأن لليهود الحق بالعيش فيها كما في العصور الغابرة. وأن الاستيلاء على فلسطين فعل عدائي لا يتم إلا بالحرب والمدافع). جاء رد هرتزل (أن المشروع الصهيوني سيجلب الموهبة والمبادرة والإمكانات المالية بما يؤدي إلى تحسين أوضاع البلاد ورفع أسعار الأرض... وأنه لا يفكر بطرد غير اليهود)[٩٢].

---

٩٢) د. مناع، عادل. المرجع السابق ص٢٣٤، ٢٣٥